

نظرة عن الأختام العربية لحكام فرنسيين في الجزائر

د. زكية راجعي، معهد علم الآثار
جامعة الجزائر

ملخص:

جرت العادة عند الحكام أن يختموا رسائلهم وكل الوثائق التي كانت تتسخ عليها أقوالهم كدليل على صحتها، وتأكيدا للوعود التي عاهدوا عليها، ويذكر أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أول من استخدم الختم حين بعث بالرسالة إلى ملك الروم، واستمرت العادة عند المسلمين عبر العصور، ولكن ما يثير الانتباه هو العثور على وثائق تعود للفترة الفرنسية بالجزائر عليها أثر لأختام باللغة العربية شبيهة بالأختام التي كانت تستخدم من طرف المسلمين، فما هي الأسباب التي دفعت بالحكام الفرنسيين إلى استخدام الأختام العربية؟ وما هي النصوص والألقاب والصيغ التي جاء فيها.

Abstract :

A brief look to the Arabic's seals for the French governor in Algeria's

Traditionally, the governors used to seal their letters and all the documents in which their words were reported to proof their credibility and to confirm the promises that have been made.

It's also reported that the Prophet Mohamed SAWs, was the first person using the seal when he sent a letter to the Roman Emperor, this tradition has been kept on by Muslims through the ages, but what catches the attention is the finding of documents, dating from the French period in Algeria, that have remnants of seals in Arabic language similar to those used by the Muslims. So what are the reasons that led the French governors to use the Arabic's seals? And what are the texts, the titles and the slogans that came in it.

الختم في العصر الإسلامي

تعتبر دراسة الأختام من الأبحاث القديمة التي أثارت العديد من الباحثين والمؤلفين، وهذا نظرا لدورها القيم التي تلعبه في توثيق المستندات والرسائل إذ تثبت مصداقيتها كما تحمل في نقوشها سواء كانت كتابة أو رسم علامة السلطة وتختلف الأختام باختلاف الأشخاص والمناطق.

يرجع استخدام الختم إلى العصور القديمة، وورثه المسلمون عن الحضارات السابقة لهم، ويذكر ابن خلدون أن أول من استعمل الختم هو الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقد ثبت في الصحيحين أن النبي صل الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى قيصر، فقبل له إن العجم لا يقبلون كتابا إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه: محمد رسول الله، ويضيف عن البخاري أنه جعل الثلاث الكلمات ثلاثة أسطر وختم به وقال لا ينقش أحد مثله. (ابن خلدون، دت: 291)

وبانتشار الإسلام واتساع رقعته تنوعت الحاجات في اتخاذ الخواتيم فمنها ما هو خاص بالعقود الشرعية من بيع وشراء وأنكحة ومنها ما هو متصل بالقضاء وتنفيذ الأحكام أخرى خاصة بالمراسيم السلطانية والمراسلات الملوكية وغير ذلك من الشؤون العامة والخاصة مما يحتاج إلى ضبط الوثائق (الكندي)، ولقد استخدم الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل خاتم الرسول لتوثيق نصوصهم تبركا به، هذا مع العلم أن لكل خليفة خاتمه الخاص به.

في بداية الأمر لم يحدد مكان لوضع الختم على الوثيقة، بينما أشار الطبري أن الختم غالبا ما يكون في الأسفل في ذلك العصور، ويستشهد بذلك بمعاوية حين راسل الحسن عند مرادته إياه في الصلح فيذكر: "أرسل إليه معاوية بسجل قد ختم عليه في أسفله، فقال أكتب.."(الطبري: 1156)

يرى رينونفلا عن لأكروا أنه شيئا فشيئا أصبح من باب الآداب وضع الختم أسفل النص نحو الأطراف، ومن الأحسن يوضع في الظهر حتى لا يتبين إلا جزء منه وهذا كدليل على التواضع واختلاف في درجة السلطة. وهذا الأسلوب في المراسلات لا بد منه بحيث دائما تترك المساحة العليا للشخصيات المهمة أو السلطات العليا (La Croix, 1910 : 204)

لم يقتصر دور الختم على توثيق النصوص المكتوبة، فيذكر ابن خلدون أن له دور آخر، وذلك باستعمال الشمع أو مادة من نفس النوع، يضمن طي الوثائق، ويذكر أنه السبب في اللجوء إلى هذه الطريقة حين أمر معاوية لعمر بن الزبير عند زياد بالكوفة بمائة ألف، ففتح الكتاب وصير المائة مائتين، ورفع زياد حسابه فأنكرها معاوية، وطلب بها عمر وحبسه حتى قضاها عنه أخوه عبد الله، ومنذ ذلك الوقت أنشأ معاوية

ديوان الخاتم وقال آخرون وحزم الكتب ولم تكن تحزم أي جعل لها السداد، وديوان الختم عبارة عن الكتاب القائمين على إنفاذ كتب السلطان والختم عليها إما بالعلامة أو بالحزم... والحزم للكتب يكون إما بدس الورق كما في عرف كتاب المغرب، وإما بإلصاق رأس الصحيفة على ما تنطوي عليه من الكتاب كما في عرف أهل المشرق وقد يجعل على مكان الدس أو الإلصاق علامة يؤمن معها من فتحه والإطلاع على ما فيه فأهل المغرب يجعلون على مكان الدس قطعة من الشمع ويختمون عليها بخاتم نقش فيه علامة، لذلك فيرتسم النقش في الشمع وكان في المشرق في الدول القديمة يختم على مكان اللصق بخاتم منقوش أيضا قد غمس في مداف من الطين معد لذلك صبغه أحمر، فيرتسم ذلك النقش عليه وكان هذا الطين في الدولة العباسية يعرف بطين الختم (ابن خلدون، دت: 293294)

شكل الختم : أما فيما يخص شكل وحجم الأختام التي توضع على الرسائل، فقد كانت مختلفة ومتنوعة، إلا أن معظم الأختام بصفة عامة كانت على شكل دائري، كما نجد الشكل البيضاوي، ومتعددة الأضلاع والمثلثة الشكل تجهز حسب رغبة صاحبها، أما فيما يخص الحجم فلا يوجد أي قاعدة ثابتة، فعند الخواص فقد كانوا يملكون أختام ذوي أحجام متوسطة، على عكس الحكام تكون أكبر منها، ومزخرفة، وفي الحقيقة كانوا يملكون على الأقل ختمين، يستخدم أحدهما للقرارات الكبيرة التي كانت تتعلق بالأمة، والآخر يستخدمه الحاكم للمراسلات.

زخرفة الختم: تتميز زخرفة الأختام بتنوعها وتكون خارج النص الكتابي أي لا تختلط به، ولقد تشابهت الزخارف عند أختام المسلمين بحيث تمثلت في أزهار وخطوط ملتوية وبشابكها تتركب رسوم تقريبا منتظمة تملأ الفراغ الذي يتركه النص الكتابي، وعادة ما يكون الخط من حروف بسيط وفي بعض الأحيان نجد اسم مالك الختم وغالبا ما يكون مصحوبا بشعار أخلاقي أو نص أدبي أو دعاء أو ابتهاج.

في حين يذكر أحد المؤلفين المعاصرين أن النص الكتابي على الختم ليس بالضرورة يحمل اسم صاحبه يظهر ذلك على أختام الخلفاء؛ ومنها ختم أبوبكر جاء فيه: "نعم القادر الله" ونقش أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب: "كفى بالموت واعظاً". أما الخليفة عثمان بن عفان فقد نقش على ختمه: "أمنت بالذي خلق وفسوى" ونقش علي بن أبي طالب: "الله الملك الحق" (الموسوعة العربية، 1999: 513).

والجدير بالذكر أنه عند بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين نجد تقارب أو ربط بين أسمائهم والشعارات التي كانت تنقش على أختامهم ومنها على سبيل المثال: (المأمون) نص الختم: خادم الله لا يتوكل إلا على حماية الله، أما (المتوكل) فقد نقش على ختمه النص التالي: أتوكل على الله (جرجي زيدان، 2012: 94).

وفي العصر العثماني يظهر استعمال آخر للختم يرجع إلى العادات القديمة التي جلبها معهم الأتراك من آسيا يعتبر بمثابة ختم السلطان نجده على السكة وعلى كل ماله علاقة بالدولة أي المراسيم (الفرمانات) وحتى الأشياء التي يمتلكها السلطان، وهو ما يعرف باسم الطغراء وهي عبارة على تجميع خطوط متشابكة في وسطها اسم الحاكم مصحوب ببعض الأمانى لإزدهار ملكه هذا بالإضافة إلى أسماء آبائه ولقبه، وانتقل الطغراء من جيل إلى جيل دون أن يجرى عليه أي تغيير سوى عند اسم الحاكم وتأريخ تولي السلطان الجديد، بعض السلاطين الأتراك استعملوا الطغراء لوحده وآخرون أضافوا شعار ديني أو حكمة.

كما استخدم الطغراء من طرف الشخصيات الهامة عند الأتراك بحيث كانوا ينقشون طغراء على أسمائهم ولكن تختلف عن طغراء السلاطين.

يكتب الطغراء باليد في أعلى المرسوم أو الوثيقة التي تصدر من طرف الديوان ومن هنا أطلقت التسمية الخط الشريف.

إذن إن استخدام الطغراء عند الأتراك أُلغى استخدام الأختام على الوثائق، ولم يظهر فيما بعد إلا الختم على الشمع الأحمر.

الختم في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) :

أ - في العصر العثماني: وإذا إنتقلنا إلى بلاد المغرب وبالتحديد الجزائر يظهر أنه تم تحديد القواعد فالحاكم الأعلى عندما يرسل شخصية أدنى منه يضع خاتمه في الأعلى الوثيقة في حين إذا كان المبعوث إليه من مستوى اجتماعي رفيع ويريد أن يميزه يضع الخاتم على الحاشية ،

بينما ذوي السلطة السفلية يضع خاتمه في أسفل الوثيقة ولكي يظهر تقديره واختلاف الطبقة يضعه في الخلف وهذا أيضا دليل على صداقة عميقة وثابتة.

تحتفظ المكتبة الوطنية بالجزائر على رسائل مبعوثة من طرف باي قسنطينة الحاج أحمد إلى داي الجزائر حسين وقد وضع الختم الأول في الخلف وأسفل كل رسالة.

تظهر الأختام في بلاد المغرب على شكل دائرة، بينما في الحقيقة عكس ذلك يغلب عليها الشكل البيضاوي خاصة في الفترة العثمانية واستمر استخدامه بعد الدخول الفرنسي في تونس والجزائر أيضا، فقد كان ختم الداي حسين وكذلك باي قسنطينة الحاج أحمد على هذا الشكل.

بالإضافة إلى ذلك حسب رينو، نجد عدد كبير من الأختام في بلاد المغرب وخاصة أختام الدايات والبايات نقشت عليها البيت 79 من البردة ونصه:

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم ويتبين مما سبق أن استعمال الختم عند الخواص لم يكن منتشرا، في الجزائر تحت ظل الدولة العثمانية فقد اقتصر على الحكام ب. في العهد الفرنسي: عند بداية الإحتلال للجزائر، لم يزود رؤساء الحكام والحكام الأوائل العاميين بختم وقد كانوا يستخدمون عند الضرورة الختم الخاص بالجيش. وتتطور العلاقات والمصالح عم استخدامه، فالعديد من الأشراف المحليين خاصة شيوخ (رؤساء) الزوايا والتجار.. وضعوا أختام معظمها جاءت باللغة الفرنسية. واتخذ ت. أشكال أختام هؤلاء الشكل الدائري أو البيضاوي، فالشكل الأول اختص به الرؤساء المحليين إذ يمثلون السلطة أي القادة والآغوات، أما الشكل الثاني فقد إختص به القضاة.

لم يخرج عن هذا النظام إلا المارشال بوجو (Bugeaud) فبعد مرور سنتين على وجوده بالجزائر كحاكم عام صنع ختم نقشت عليه حروف عربية ووجدنا أثره في أعلى إعلان نشره إثر بعثة إلى بني مناد. نص الختم: في المركز: "الذي يؤمن بالأمل عبد الله، المارشال بوجوسنة 1259"

(1843)، وفي الحاشية: "إن الأرض لله يرثها من يشاء من عباده" (الآية 127، سورة الأعراف)، "حاكم الجزائر".

دلت الأبحاث في الأرشيف الجزائري على أنه لا يوجد أي أثر للختم العربي وهذا دليل على أنه لم يقلد من طرف خلفاءه ولم يتبعوا نفس نظامه، ولكن فيما بعد أصبح استعمال الختم العربي رسمي، ويرجع السبب في ذلك عندما منحت الحرية المطلقة للحكام في تعيين رؤساء محليين في سائر البلاد بينما فيما سبق كانت مقتصرة على ضباط الجيش للمشرفين على الولايات.

ولم تمنح هذه السلطة للحكام إلا في فترة متأخرة، ففي بداية الإحتلال كان من الضروري ترك السلطة للضباط، بحيث تكون المبادرة من طرفهم للإتصال وتعيين رؤساء القبائل التي خضعت للإستعمار ونظرا للإضطرابات التي واكبت الحملة الإستعمارية لم يوضع أي نظام يحدد طريقة التعيين، ومثال ذلك المنطقة الغربية فيذكر أنه رأى كبار المسؤولين أنه من الأحسن تقليد إدارة الأمير عبد القادر بحيث تركنا ولفترة ما، الحق للخلفاء (القادة) أي كبار الرؤساء المحليين الحق في تعيين رؤساء القبائل أو أغوات وهذا في انتظار نشر قوانين نهائية، ولكن بعد الهدوء واستتاب الأمن بالتدرج أصبح من الضروري وضع نظام صارم.

هذه هي الظروف التي ظهرت في الأختام العربية كما يراها الباحث ولكن في إعتقادي أنه أسباب أخرى خفية دفعت إلى هذه الإجراءات والإستعانة باللغة العربية في إصدار الأختام، لقد أثبت الحقائق التاريخية أن هذه الفترة تمثل بداية تراجع المقاومة الوطنية التي كان يتولها الأمير عبد القادر كما مثلت من جهة أخرى الذروة في سمعة المارشال بوجوالحاکم العام للجزائر واتخذ عدة إجراءات لتثبيت أقدام فرنسا في الجزائر وذلك بالتقرب إلى الأهالي عن طريق إستخدام لغة البلاد، وفي 15 أفريل صدر مرسوم ملكي يجعل معرفة اللغة العربية إجبارية على كل المترشحين للوظائف المدني وذلك إبتداء من سنة 1847 كما عمل المارشال على تغيير الإدارة وأنشأ إدارة الشؤون العربية ودعم المكاتب العربية، كلها كانت تقوم على الترجمة ومعرفة لغة البلاد، ويذكر المحافظ جان بوجولا وهو في نفس الوقت مؤرخ في عهد بوجو، أن الأوروبيين كانوا سنة 1844 يتعلمون اللغة العربية لتكون علاقاتهم مع الأهالي أكيدة

ومنتجة، وأعلن أيضا أن تعلم اللغة العربية شرط أساسي لتسريب الأفكار والعادات والثقافة الفرنسية إلى الأهالي وطالب بحرية رجال الدين في تعلمها لكي يتصلوا بالأهالي ويثبتوا الأفكار النصرانية عن طريقها، إذن عهد المارشال بوجوه والعهد الذي بدأ تشيع فيه فكرة التوغل السلمي داخل المجتمع الإسلامي وهو ما يسميه البعض أيضا بالاحتلال المعنوي (أبو القاسم سعد الله، 2007: 20).

حينئذ قرر بوجوه في 12 يناير 1844 منح الجنرالات حكام الولايات الحق في تعيين القادة والحكام وسحب الصلاحية من الخلفاء والباشوات والأغوات. إن تقليد أوتصيب القادة يتم من طرف حكام الأقسام أنفسهم وفي حالة غيابهم يتم من طرف قادة الأقسام. وللحاكم وحده الحق في تعيين الخلفاء وباشا آغا، وآغا أويمثل حاكم الولاية. ولهذا على كل حاكم محلي أن يحمل أويزود بختم يتم صنعه على حسابه.

وبعد شهر أي في 5 فيفري، 1844 قام بوجوه بتغيير بسيط في القوانين بحيث قرر أنه يتم تجديد تنصيب كل سنة القائد أو الشيخ، غير أنه يمكن إعادة تنصيب نفس القائد المحلي في حالة ما إذا كانت السلطة راضية على الخدمات التي قدمها أو إذ لم يكن هناك شخص آخر قادر على تعويضه، ولكن في كل الحالات كلما تم إعادة تنصيب قائد محلي كان جديد أي لا يعاد تنصيب القديم وكان يسلم لهذا القائد برنس، وختم يصنع على حساب الدولة، وقد قرر بوجوه نفس الوقت منح ختم للقادة عند تسليم مهامهم.

والجدير بالذكر أن هذا النظام لم يستمر فقد أهمل إعادة التنصيب السنوي، كما عمل الحكام على عدم تطبيقه وهذا نظرا للبعد في المسافة، وترك للقادة التعيين لقادة المجلس.

وفي نفس الوقت عمم استعمال الأختام العربية عند ضباط المكاتب العربية، ولقد استخدموهم لتوثيق المراسلات مع المحليين وأصبح من العادة عند العديد منهم مرافقة اسمهم بلقب الآغا على الختم.

كما يجب الإشارة إلى أنه لم يكن يستخدم الختم لوحده وخاصة عند ضباط مكاتب العرب فقد جهزت طوابع (دمغة) ومنحت لرعاة الدوائر وفي الحقيقة منحت لكل من لديهم السلطة، ولكن لم توضع أي قاعدة صارمة لتطبيقها.

وفي سنة 1859 وضع نظام وبدأ تطبيقه في نفس السنة وقد جاء بطلب من الجنرال قاستي (Gastu) رئيس قسم ولاية قسنطينة التي توأها منذ سنة 1858 فقد أُلح في طلب ختم إلى رئيس المكتب العربي بقسنطينة حينئذ رفض الأمير نابليون وزير الجزائر والمستعمرات صنع الختم ونبه أن المكاتب العربية لا تمثل مصلحة منعزلة أو منفصلة وأن ضباط هذه المكاتب ما هم إلا ممثلين (وكلاء) مباشرين وتابعون للحكم، فهم ليسوا بحاجة إل ختم خاص ولقد تم إدراج هذا التتبيه في الحولية الرسمية للوزارة في 6 يناير 1859، وقد أثار ذلك بعض التساؤلات، بحيث طلب استفسار عن ذلك الجنرال يوسف الذي كان يتأأس قسم الجزائر العاصمة، وتمت الإجابة عن سؤاله أنه لا يوجد أي مانع من استخدام عند مركز حكم طابع مميز من أجل الأعمال العسكرية والمدنية ولكن سواء كان طابع أو ختم يجب أن يكون باسم الحاكم وليس باسم الممثل الذي يتلقى الأوامر من إدارة مختلفة الخدمات ومهما كان الختم باللغة العربية أو الفرنسية يطبق نفس النظام.

ومنذ ذلك القرار لم يستخدم الضباط المكاتب العربية الأختام الخاصة في تقاريرهم مع المحليين.

وفي نفس الفترة قرر الجنرال مارتمبري (Martimprey) حين كان حاكما موكل من طرف الحاكم العام قرر أن يخصص لرئيس الولاية (المستعمرة) حق في تعيين رؤساء المحليين، سرعان ما تم تطبيق هذا القانون في ولاية الجزائر وقسنطينة، وبقي الجنرال دي لنيي (Deligny) وحده على رأس حكم قسم وهران، فاحتج بشدة، وأوضح أن هذا الإجراء يمس امتيازَه في السلطة في الوقت الذي ثار فيه أولاد سيدي الشيخ وفليته بحيث أصبح في ظروف صعبة.

ونظرا للأحداث التي تعرض إليها هذا الأخير، فقد أجلت هذا الإجراء في منطقة وهران ولم يتم تطبيقه على البلاد كلها إلا في سنة 1871 من طرف اللواء البحري قيدون (Gueydon) الذي رأى أنه حان الأوان لاسترجاع سلطة المقاطعات (الولايات) إلى الدولة.

ومن هنا أصبح من الضروري إبراز خاص لترخيص (إجازة) تنصيب الرؤساء المحليين وذلك بإظهار ختم حكومي بحروف عربية (في الهامش: في المناطق المدنية، تم توكيل الولاة لتنصيب مساعدين محليين وذلك

بواسطة قرار حكومي 16 ماي 1874، وهذا القرار كمل بقرار 13 أبريل 1898 من طرف السيد ليبين (Lépine) والذي بنفسه عمد على إلغائه بقرار 29 ديسمبر 1900، ومنذ ذلك الوقت عمل بعض الولاة الجزائريين على صنع أختام منقوشة بالحروف العربية وكانت لها نفس صلاحية أختام حكام الدولة..

كما يمكن أن يستخدم هذا الختم في المراسلة مع أشرف المحليين، هذه الفكرة لم تكن حديثة كما سبق الذكر فقد تم تنفيذها سنة 1842، حيث جهزت المطبعة الوطنية على طبع شهادات ترشيح من أجل الرؤساء الكبار المحليين وقد استمرت هذه الإجازة إلى سنة 1844. وفيما يلي نماذج من الأختام التي استخدمت من طرف الحكام الفرنسيين، وقد جاءت مرتبة ترتيبا كرونولوجيا بعد ختم بوجو:

- ختم ديقيدون (1871 - 1873) يعتبر أول نموذج بعد ختم بوجو وهو يختلف عنه، فقد جاء في مركز الختم على جانبي رنك يعلوه تاج كلمتين لاتينيتين، وهما كلمة (evince) أي النصر وكلمة (eguida) أي القوة، ووضع رسم صورة الأسد والصليب، أما محيط الختم فقد جاء فيه العبارة العربية تبدأ عند رسم جهاز رسو السفن، ونصها: "المتوكل على مولاه في السر والجهر، والي الولاية الكونت ديقيدون أمير البحر" (الشكل رقم 1).

- ختم لويس تيرمان (Tirman) (1881 - 1891) ظهر نص الختم في قسمين، القسم الأول عند مركز الختم في شكل دائري ونصه: "الواثق بالرحمان، عبده لويس تيرمان، سنة 1882" أما باقي النص فقد ورد في محيط الختم بشكل دائري ينطلق من رسم الهلال ويعتبر الزخرفة الوحيدة التي تزين الختم، ونصه: "الوالي العام بالعمليات الجزائرية، حفظه الله لحفظه المكنون". والسجع هنا غير وارد في العبارة الأخيرة. وكلمة لحفظه موجودة كذلك، وهي تعني يحفظه" (الشكل رقم 2).

- ختم جول كامبون (Camban) (1891 - 1897) جاء نص الختم في ثلاثة سطور الأول منها أدرج داخل شكل هلال، ونصه: "الواثق بمن أمره بين الكاف والنون" ويتواصل النص في شكل دائري عند مركز الختم: "عبده جول كامبون، سنة 1891" وآخر العبارة نجدها عند محيط الختم: "الوالي العام بالولاية الجزائرية، حفظ الله في السر والعلانية" أما

الغرض عند وضعه بالكاف والنون تعني كلمة (كن) والمقصود به الله جل جلاله (أبوقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر ...) (الشكل رقم 3).

- ختم ليبين (Lepine) (1897 - 1898) جاء النص في خمسة سطور دائرة مركزية محتواها: "الواثق بالمعين، عبده ليبين، والي عموم قطر الجزائر، وقاه الله سوء الدوائر، سنة 1897" والختم دائري كبير، أما محيط الختم فقد زين بالأزهار تتناوب مع أهلة تعلوها شكل نجوم (الشكل رقم 4).

- ختم لافيريير (Laferrieres) (1898 - 1900) يشبه ختم لبين، بحيث جاء نص الكتابة في خمسة سطور داخل دائرة مركزية ونصها: "الواثق بالقدير، عبده لافيريير، والي الجزائرية، حفظه الله في السر والعلانية، سنة 1898". وزين محيط الختم بأهلة تعلوها نجوم داخل عقود مفصصة (الشكل رقم 5).

- ختم جونار (Jonnart) (1900 - 1901) حاكم مؤقت، جاء نص الختم ضمن هلالين الأول في شكل هلال مغلق يضم العبارة التالية: "الواثق بالفاعل المختار، عبده جونار، سنة 1900" أما باقي النص فيقع في شكل هلال كبير يضم العبارة التالية: "والي عموم الجزائرية، حفظه الله في السر والعلانية". وفي أعلى الختم هلال ونجمة، والكتابة في أربعة سطور ضمن شكل هلال وتحيط بذلك زخرفة الرقش العربي داخل شكل هلال (الشكل رقم 6).

- ختم ريفوال (Revoil) (1901 - 1903) نصه: "المعتصم بذی الجلال، عبده ريفوال، سنة 1901" جاءت الكتابة داخل شكل مثنى نتج عن تداخل مربعان يضمهما شكل هلال أدرج فيه باقي العبارة وتتمثل في: "والي عموم الجزائرية، صانه رب البرية". ويحيط بالكل شريط من الزخرفة النباتية والمتمثلة في الفروع الدقيقة تحيط بها شكل عقود مفصصة بداخلها أهلة ونجوم (الشكل رقم 7).

- ختم ببيير بورداس (Bordes) (1920 - 1930) جاء نص الختم في شكل مثنى ذو أضلاع مفصصة ويحتوي على العبارة التالية: "الواثق بمالك الأنعام عبده ببيير بورداس 1927" وباقي النص أدرج داخل شكل خرطوش محتواه: "المتوكل على الجزائرية صانها رب البرية". أما باقي المساحة من

الختم زينت بفروع دقيقة تنتثر عليها أزهار وبراعم دقيقة ويتميز هذا الختم بغنى زخارفه عن الأختام السابقة (الشكل رقم 8).
الدراسة التحليلية:

يتبن لنا أن الأختام في مجملها كانت دائرية وذات حجم متوسط ولكن بدأ من ختم ليبين نهاية القرن التاسع عشر، تظهر أكبر حجما وربما ارتبط حجمها بظهور الزخرفة، لذلك تطلب مساحة أوسع، أما من ناحية الشعارات والصيغ فقد انفرد ختم بوجوبآية قرآنية والظاهر أن إختياره لهذه الآية لم يكن مجرد صدفة و لكن الغرض منها بأن إحتلال البلاد تم بإرادة من الله "إن الأرض لله يرثها لمن يشاء من عباده"، يليه ختم ديقيدون رغم الفارق الزمني بينهما يقارب ثلاثين سنة ويختلف عنه تمام من ناحية الصيغ، وما يلفت الأنظار هو إدراجة لكلمتين لاتينيتين وهذا لم نجده في الأختام اللاحقة مع رسم الصليب والأسد أما رسم جهاز الرسوفهو واضح كان يقصد به مكانته في البحرية إذ كان يشغل منصب أميرال، كما ركز على ألقابه كالكونت، وقد انفرد باستهلال نص الختم بلفظ "المتوكل"، واستخدم مصطلح "والي" وهو اللقب الذي نجده في جميع الأختام، ولم يذكر "الجزائر" بينما في الأختام التي جاءت بعده لم تخلو من لفظ "الجزائرية" أو "قطر الجزائر".

أما اللفظ الأكثر انتشارا فهو لفظ "الوائق" والذي استهل به معظم نصوص الأختام، وانفرد ختم ريفوال بلفظ "المعتصم" كما تنوعت أسماء الجلالة منها "الرحمان، و" القدير" و"المعين" و"ذي الجلال".

ويرى لأكروا أن السبب في تبني حكام فرنسيين للشعارات دينية على أختام باللغة العربية، رغبة منهم في استمرار تقليد أختام الأمراء المسلمين والالتزام بالتقاليد المحلية التي لها قيمة عند السكان المحليين والتي كان من دون شك غير لائق التخلي عنها، بينما نرى السبب في ذلك للتخفيف من حدة السياسة القمعية التي اتبعتها الحكومة الفرنسية اتجاه الأهالي منذ بداية الاحتلال، ولاكتساب ثقتهم، والأمثلة عن سياسة فرنسا في تغيير فكرة الاستعمار وأهم لم يأتوا للنهب والإضطهاد كثيرة منها وأهمها فكرة نابليون الثالث في إنشاء المملكة العربية وجعل الأمير عبد القادر قائدا عليها...هكذا ظهرت السياسة الفرنسية اتبعت كل الوسائل للسيطرة على البلاد.

وإذا انتقلنا إلى الزخارف تظهر الأختام الأولى تكاد تكون خالية من الزخرفة وكما رأينا إكتفى قيدون بوضع عناصر زخرفية رمزية كالأسد والصليب.. وظهert الزخرفة محتشمة على ختم ترمان وختم كامبويحيث إقتصرت على النجمة والهِلال وهما من العناصر الزخرفية الرمزية بالنسبة للفنان المسلم وخاصة الهِلال الذي له علاقة بشعائر دينية، كما استغل شكل الهِلال في بعض الأختام في كتابة نص الختم، ويظهر أن الزخارف بدأت تشغل مساحات كبيرة على الأختام في نهاية القرن التاسع عشر (ختم ليين) بحيث تنوعت فبالإضافة إلى النجمة والهِلال فقد زينت الأختام بزخرفة التوريق العربي وهذا دون أن تختلط مع النص الكتابي.

وعلى العموم ظهرت الأختام في البداية بسيطة خالية من الزخرفة وذات أحجام متوسطة، وبمرور الوقت أصبحت ذات أحجام كبيرة وشغلت الزخرفة حيز كبير من مساحتها بينما اتسمت الشعارات بالجمال الصغيرة، ولا شك أن وضع العبارات الدينية والكتابة بالحروف العربية ناتج عن إعتقاد هؤلاء الحكام أنهم يمثلون شعبا مسلما وهذا ظاهريا، إلا أن دستورهم يذكر أنها جزء لا يتجزء من فرنسا، والحقيقة أنهم ظلوا ينظرون إلى الجزائر على أنها بلاد إسلامية مستعمرة (أبوالقاسم سعد الله، 2007: 356).

قائمة المراجع:

- يعتبر هذا البحث قراءة جديدة لمقال نشر في المجلة الإفريقية سنة 1911، للباحث لأكروا، تحت عنوان "أختام حكام الجزائر" العدد رقم 276.
- أبوالقاسم سعد الله، 2007، تاريخ الجزائر الثقافى، الجزء الثالث والرابع، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.
- ابن خلدون، دت، المقدمة، دار الجيل، بيروت.
- جرجي زيدان، 2012، تاريخ التمدن الإسلامى، الجزء الأول، هنداوى للتعليم والثقافة.

نظرة عن الأختام العربية لحكام فرنسيين في الجزائر د. زكية راجعي، معهد علم الآثار

- الكندي عبد الله محمد، الأختام الوقفية ودلالاتها الحضارية، مجلة الوعي الإسلامي، عن موقع: www.alwaei.com
- الموسوعة العربية، 1999، الأختام، المجلد الأول.



الشكل رقم 2



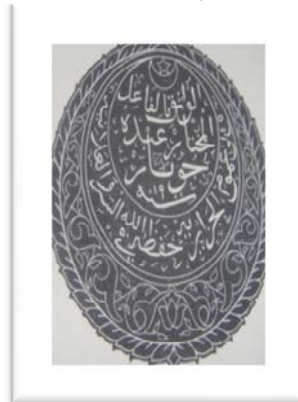
الشكل رقم 1



الشكل رقم 3



الشكل رقم 4





الشكل رقم 5

الشكل رقم 6



الشكل 8



الشكل رقم 7

أختام عربية لحكام فرنسيين بالجزائر (1871 - 1927)